ASJP
Algerian Scientific Journal Platform

المجلة التاريخية الجزائرية

ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664

المجلة التاريخية الجزائرية

المجلد:08، العدد:03 (2024)، ص186-197

المكانة الديمغرافية لمدينة وهران وفضائها خلال العصر الزياني: دراسة احصائية لعدد السكان من خلال المصادر

The demographic status of the city of Oran and its area during the Zayani era: A statistical study of the population through sources

✍بوالقمح بلال*
مخبر البحث في الدراسات الأدبية والإنسانية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة (الجزائر)
boulkamh.bilal@univ-emir.dz

✍رضا بن النية
جامعة سطيف 02 (الجزائر)
r.bennia@univ-setif2.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2024/10/14
تاريخ القبول:
2024/12/04

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الديمغرافيا التاريخية
- ✓ المعطيات الاحصائية
- ✓ وهران
- ✓ وزن ديمغرافي

الملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى فتح آفاق واسعة وجديدة للبحث في مجال الديمغرافيا التاريخية بالمغرب الأوسط، في الوقت الذي لايزال التقصي في هذا الحقل مستعصيا على الباحثين والأكاديميين المهتمين بتاريخ المنطقة بدافع غياب الوثائق الأرشيفية المتعلقة بالإحصاء إضافة إلى قلة المعطيات الإحصائية في المصادر التاريخية، التي لا تسمح بإعطاء صورة دقيقة عن عدد السكان، رغم الأهمية التي يكتسيها هذا الميدان في تفسير التحولات الاقتصادية والاجتماعية... لهذا جاءت دراستنا هذه لتضع تقديرات أولية ونسبية لعدد سكان مدينة وهران وفضائها، وتوصلنا إلى نتائج أهمها: نسبية الأرقام الاحصائية المتحصل عليها والمتعلقة بعدد سكان المنطقة، كما توصلنا إلى أن المجال الجغرافي المدروس تميز بوزن ديمغرافي ساهم في تنشيط الحياة الاقتصادية.

Article info

Received:
14/10/2024
Accepted:
04/12/2024

Key words:
- ✓ Historical Demography Words
- ✓ Statistical Data
- ✓ Oran
- ✓ Demographic weight

Abstract:

This research paper aims to open broad and new horizons for research in the field of historical demography in the Central Maghreb, at a time when research in this field remains difficult for researchers and academics interested in the history of the region due to the absence of documents archivals related to statistics in addition to the lack of statistical data in historical sources, which does not allow an accurate picture of the population to be given, despite the importance of this field in interpreting many economic and social transformations...that is why our study came to establish preliminary and relative estimates of the population in this city of Oran and its area, and we reached results, the most important of which are: the proportionality of the statistical numbers obtained related to the population of the region, as we arrived at, The geographical area studied was characterized by a demographic weight that contributed to the revitalization of economic life.

*المؤلف المرسل

مقدمة

تُعد مدينة وهران وفضائها من أبرز المراكز الحضارية والتجارية والسكانية بالمغرب الأوسط، حيث تشير المصادر التاريخية والجغرافية إلى أن المنطقة تبوأت مكانة ديمغرافية، بفضل مجموعة من العوامل الطبيعية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، أبرزها العامل التجاري، مما ساهم في تعزيز نموها الديمغرافي، على الرغم أن المنطقة شهدت تراجعا ديمغرافيا في بعض فتراتها بسبب الجوائح الطبيعية والأوبئة والحملات العسكرية المرينية، إضافة إلى الفتن الداخلية والاضطرابات الأمنية التي اتخذت طابع الديمومة في الفترة الزيانية، إلا أنها كثيرا ما استعادت نموها الديمغرافي لأهمية مدينة وهران التجارية، ومع ذلك يبقى تقدير عدد سكانها من القضايا المعقدة خلال الفترة الوسيطة، –رغم اتفاق المصادر على أهميتها الديمغرافية–، حيث تواجه الباحث في هذه المسألة تحديات تتعلق بنقص المعطيات الدقيقة والموثوقة لغياب سجلات رسمية حول عدد المواليد والوفيات، مما يصعب الحصول على تقديرات دقيقة حول عدد سكان وهران وفضائها.

ولهذا فان هذه الورقة البحثية جاءت لتسلط الضوء على إشكالية تقدير عدد سكان مدينة وهران وفضائها خلال الفترة الزيانية، مستندة إلى مجموعة من النصوص التاريخية والجغرافية، فإلى أي مدى يمكن دراسة ديمغرافية وهران وفضائها بالاعتماد على المصادر التاريخية والجغرافية في ظل غياب الاحصائيات الرسمية؟، وهل بإمكاننا تقديم عدد تقريبي لسكان المنطقة قيد الدراسة؟، هل هناك علاقة بين عدد السكان وازدهار المنطقة تجاريا؟، ونهدف من خلال هذه الورقة البحثية إلى تقدير عدد سكان مدينة وهران وفضائها، واستكشاف الفروق في التقديرات التي قدمها باحثون مختلفون حول عدد السكان المنطقة، والأسباب التي تقف وراء هذه الفروقات، كما نهدف أيضا إلى لفت انتباه الباحثين في التاريخ الوسيط إلى ضرورة البحث في هذا المجال مستقبلا.

وفرضت طبيعة الموضوع اتباع المنهج الكمي من خلال جمع الإحصائيات المتعلقة بسكان مدينة وهران وفضائها، وتحليل النصوص المصدرية التي تحتوي على إشارات ديمغرافية، وحرصنا أثناء ذلك على اتباع أسلوب النقد والتحليل لتقديم تقديرات أولية لعدد السكان.

1.إشكالية البحث في الديمغرافيا التاريخية

تكتسي معرفة عدد سكان منطقة أو قطر ما أهمية كبيرة باعتباره وسيلة تسمح بفهم تركيبة وبنية المجتمع، سواء كانت تنظيمية أو تناقضية، كما تسهل من عملية إدراك المجموعات البشرية الوافدة على المجتمع الحضري الأصلي وادماجها، إضافة إلى ذلك تساهم المعرفة بعدد السكان في اتاحة قاعدة معطيات أولية، تمكن من القدرة على تفسير أسباب وسياق الأحداث والظواهر التاريخية، وباستطاعته أيضا تقدير معدل التغيرات وحجمها ووجهتها، (مدني، 2019، صفحة 10) ولكن معرفة عدد سكان منطقة جغرافية في الفترة قيد الدراسة صعب جدا لغياب التأطير الإداري وانعدام سجلات الولادات و الوفيات وسجلات الجبايات (حبيدة، 2002، صفحة 81).

كما تتسم مصادر العصر الوسيط بندرة المعطيات الرقمية التي لا تعدو أن تكون في مجملها مجرد تقديرات شخصية، تفتقد إلى الدقة وتميل في أحيان كثيرة إلى المبالغة والتضخيم، (المغراوي، 2006، صفحة 10) وهو

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ما يعقّد من عمل الباحث في الديمغرافيا التاريخية الذي يصطدم أثناء رصده للعوامل التي تؤدي إلى زيادة النمو السكاني بمؤثرات هدامة مثل: الحروب والمجاعات والأوبئة...الخ، لاسيما أمام عدم تمكّنه من الحصول على معلومات كافية عن بعض المؤشرات التي تساعده في القراءة الديمغرافية لها، على غرار الزواج، ومعدل الخصوبة، ونسبة الولادات وما يقابلها من وفيات، (حدوش، 2002، صفحة 319) نتيجة الطابع التدويني لمؤلفات هذه المرحلة التي تغيب فيها الإحصائيات المنظمة المبنية على قواعد علمية. (شاكر، 1988، صفحة 33)

ولا شك أن هذا المعطى سيجعل من المستحيل الوقوف على ضبط دقيق لعدد سكان مدينة ما إلا على وجه تقريبي، (شاكر، 1988، صفحة 33) واحتمال الخطأ فيها وارد في الكثير من المرات، (جدلة، 1993، صفحة 86) لأنها تفتقر إلى معطيات إحصائية ذات مصداقية تكون منطلقا لهذا العمل البحثي (القشاعي، 2004، صفحة 313).

وبحكم طبيعة المادة المصدرية التي تنقلها لنا النصوص بهذا الشأن التي يشوبها النقص والتناقض في التقديرات الكمية للكثير من الظواهر، إلى جانب ورود جزء معتبر منها في صور اعتبارية، تمت الاستعانة بالمنهج النوعي لدعم المنهج الكمي بهدف الاستثمار الدقيق لمعطياتها، (راشدي، 2018، صفحة 26) خاصة وأن التزايد السكاني لا يأخذ دوما نسقا تراكميا فحسب، بل إنه يُنظر إليه في بعض الأحيان على أنه تحول نوعي مطرد مع العدد، "**وإن أي مجتمع متنام عدديا تتغير أقداره كيفيا ارتباطا بمكوناته وإمكانياته، ووفقا لخياراته الفردية والجماعية**" (مدني، 2019، صفحة 10).

وهو واقع يفرض على الباحث في الديمغرافيا التاريخية لبلاد المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة أن يتوخى الحذر في التعامل مع معطياتها، مع ضرورة تمحيصها والتوثق من واقعيتها باستعمال منهج الشك والنقد، (يشوتي، 2001، الصفحات 131–132) إلى جانب المزج بين المنهجين الكمي والكيفي من أجل سد بعض الثغرات التي تتخلل المصادر الوسيطة في هذا الجانب (مدني، 2019، صفحة 29).

وبالرغم من هذه العقبات إلا أن ذلك لم يمنع الباحثين من تقديم مقاربات إحصائية لعدد سكان بعض مدن الغرب الإسلامي خلال الفترة الوسيطة، ولعل أشهرها تلك التي اعتمدت على "**الكانون**" (أنظر التعليق رقم 01) كوحدة مرجعية في تقديراتهم على ما أورده الوزان في كتابه وصف إفريقيا.

وعلى أهمية هذه المحاولات التي استندت إلى وحدة الكانون إلاّ أن نتائجها تبقى تقريبية ولا تقود إلى معرفة عدد السكان الحقيقي، (منصوري، 1999، صفحة 84) ولعل السبب الرئيسي في ذلك يرتبط أولا بنسبية التقديرات التي نقلها لنا الوزان، وثانيا بالاختلاف الواضح بين الباحثين حول متوسط عدد أفراد الأسرة خلال مرحلة الدراسة، ففي الوقت الذي حصرته الدراسات الأوروبية في البلدان المتوسطية ما بين 4 ــ 5 أفراد، وقد يصل في بعض المدن إلى 6 أفراد (بعيزيق، 1995، صفحة 113) فإن البعض الآخر وصل به حتى 7 أفراد، (حساني، 2009، صفحة 146) ولم يتوان فريق آخر عن رفعه إلى مستوى 10 أفراد بحكم الانتشار الواسع لظاهرة تعدد الزوجات، والتسري بالجواري، وظاهرة امتداد العائلة، (جدلة، 1993، صفحة 97) وأما الباحث التونسي بعيزق (1995)

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

فضبط متوسطه عند معدل 7.5 فرد للأسرة الواحدة، (صفحة 116) وهو في رأينا الرقم الأكثر واقعية لكونه يتوسط بين الحدين الأدنى (5 أفراد) والأقصى (10 أفراد) المشار إليهما في تقديرات الأبحاث السابقة.

2.التقديرات السكانية من خلال النصوص المصدرية

على الرغم من التعقيدات السالفة الذكر إلا أننا سنحاول في هذه الورقة البحثية تقديم تقدير لعدد سكان مدينة وهران وضواحيها، معتمدين في ذلك على نصوص انطباعية وأخرى رقمية التي أوردتها مصادر العصر الوسيط، مثلما ينقله الجدول الموالي:

جدول 01: نماذج عن الإشارات المصدرية ذات الدلالة الديمغرافية حول مدينة وهران وفضائها خلال العصر الزياني

المجال الجغرافي	شواهد ذات دلالة ديمغرافية	المصدر
مدينة وهران وضواحيها	"وهي مدينة مليحة، محصنة، برية، بحرية، وهي مرسى تلمسان وأنظارها، ومتجر تلك النواحي".	(العبدري، 2005، الصفحات 561-562)
	"...وهي من غر البلاد، ولها نظير كبير من قرى كثيرة... وعلى وهران تراب متقن، وبها أسواق وصنائع كثيرة وتجارات نافقة...ولها على ميلين مرسى كبير، ترسى به السفن الكبار وهو يستر من كل ريح، لا مثال له من في المراسي... ".	(الحميري، 1975، 1984، الصفحات 612-613)
	"مدينة مباركة بالحرث والنسل والخصب من الزرع... وهي منيعة المكان كثيرة العدة والرجال الزعام بالقتال"	(ابن الصباح، 2008، صفحة 95)
	"مدينة كبيرة فيها ستة آلاف كانون...وبها من البنايات والمؤسسات ما تتميز به كل مدينة متحضرة، من مساجد وملاجئ وحمامات وفنادق...وكان معظم سكانها من الصناع والحاكة". "كانت وهران مهبط التجار القطلونيين والجنويين، ومازالت بها الآن دار تسمى دار الجنويين لأنهم كانوا يقيمون بها".	(الوزان، 1984، صفحة 30)
	"للمملكة تلمسان ميناءان مشهوران: ميناء وهران، وميناء المرسى الكبير، وكان يختلف اليهما عدد وافر من تجار جنوة والبندقية حيث يتعاطون تجارة نافقة عن طريق المقايضة".	(الوزان، 1984، صفحة 9)
مدينة وهران وضواحيها	"كانت بها التجارات الواسعة والمساجد والمدارس ومحلات النزول والدور المعتبرة، كل مرافقها رائقة البناء وأزقتها وساحاتها جيدة الترتيب...لها بابان اثنان". "كان سكانها فيما مضى من الزراع والرعاة والتجار وكان بها كثير من النساجين".	(كربخال، 1984، صفحة 329)
	"مدينة كبيرة معدودة من أمصار المغرب الأوسط على ساحل البحر البحر الرومي... قصدها العلماء والتجار والأشراف	(الناصر، 2015، صفحة 95)

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

	أرباب البضائع وكانت مقصدا للعفات والوجوه والعساكر والجيوش"	
	"وهي مدينة من مدن المغرب الأوسط بساحل البحر الرومي، عظيمة ذات مساحة وفخامة جسيمة، متبحرة في العمران، وسارت بأخبارها الركبان، مقصودة للعلماء والتجار وسائر أرباب البضائع".	(الزياني، 2013، صفحة 43)
المرسى الكبير	"مدينة صغيرة".	(الوزان، 1984، صفحة 31)
قسطيلية (أنظر التعليق رقم 02)	"كانت مدينة غنية...سكانها يشتغلون بتجارة الخشب"	(كربخال، 1984، صفحة 348)
جبل أغبال	"يسكن جبل أغبال أناس أنذال خاضعون لحكومة وهران وكلهم فلاحون وحطابون".	(الوزان، 1984، صفحة 44)
	"جبل في عمل وهران يسكنه بربر... بهذا الجبل محلات معمورة، اثنتان قرب وهران، كانت بهذه الناحية (أغبال) محلة يبلغ عدد سكانها اثنتي عشرة مائة كانون، كما كانت بها محلة تسمى قويدسة، وقد كانت تلك الفتن ومثيلاتها سببا في خلاء هذا الجبل من السكان".	(كربخال، 1984، الصفحات 352-353)
ضواحي وهران	أزداجة لها وفرة وكثرة.	(ابن خلدون، 2001، صفحة 191)
المجال بين وهران وتلمسان	قبيلة بني عامر على حدود تلمسان ووهران نحو ستة آلاف من فارس.	(الوزان، 1984، صفحة 51)
	بني عامر "خمسين ألف راجل"	(كربخال، 1984، صفحة 103)
السهل الممتد بين وهران ومستغانم	ديار هبرة "لعل عددهم مائة فارس".	(الوزان، 1984، صفحة 51)
	"عددهم نحو مائة وخمسين فارس وألفي رجل"	(كربخال، 1984، صفحة 103)

التعليق

يتضح من خلال النصوص الواردة في الجدول أن أغلبها شواهد انطباعية لا تتوفر على معطيات رقمية تمكننا من معرفة عدد سكان مدينة وهران وضواحيها، إلا أنها أمدتنا بانطباع عام حول حجم ساكنة هذا الفضاء، وحول بعض المؤشرات التي تدل على ارتفاع أعدادهم، بحكم موقعه الاستراتيجي، وحيويته التجارية التي استقطبت إليه الناس من كل الجهات، مما أسهم في نموه الديمغرافي، حيث أكدت المصادر باستمرار على أن وهران كانت مدينة كبيرة وذات أهمية تجارية، من خلال الإشارة إلى أسواقها وصناعاتها ونشاطات تجارة السفن، مما يعكس دورها كمركز تجاري حيوي في المنطقة، ذلك أن "**التجارة هي المحرك الأساسي لأي نهضة اقتصادية أو عمرانية أو ديمغرافية**". (أجميلي، 2018، صفحة 63)

ويتضح أيضا من خلال معطيات الجدول تنوع الاثنيات بالمنطقة الوهرانية من بربر وعرب وأوروبيين،

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

كما وردت نصوص انطباعية حول توزيع السكان على القطاعات الاقتصادية وهو ما يسمى، "**بالكثافة المهنية**"، (أنظر التعليق رقم: 03) قدمت لنا تصور حول النشاط الاقتصادي الغالب على المجتمع، حيث يشكّل الصناع والحاكة غالبية سكان مدينة وهران، (الوزان، 1984، صفحة 30) وأما النمط الاقتصادي الغالب على سكان قسطيلية هو تجارة الخشب، (كربخال، 1984، صفحة 348) وبالنسبة لسكان جبل أغبال، فيتوزعون بين مهنة الفلاحة من جهة والاحتطاب من جهة اخرى (الوزان، 1984، صفحة 44).

وينفرد حسن الوزان في كتابه "**وصف إفريقيا**" بإعطائنا معطيات إحصائية في غاية الأهمية حول عدد السكان بمدينة وهران، بالاعتماد على وحدة الكانون التي تقابل الدار، ويحدد عددها في منتصف القرن 10 هـ/ 16م بستة آلاف (6000) كانون، وباعتماد رقم 7.5 فرد كمتوسط لعدد أفراد الأسرة الواحدة الذي أكدنا من قبل ميلنا إليه، فإن عدد سكان وهران حسب تقدير الوزان، هو:

عدد سكان مدينة وهران = العدد الإجمالي لكوانين المدينة ×متوسط عدد أفراد الأسرة

= 6000 كانون ×7.5 فرد

= 45000 نسمة.

وهذا الرقم يدرج مدينة وهران ضمن كبرى مدن المغرب الأوسط خلال الفترة الزيانية، بإقرار الوزان نفسه الذي وصفها في البداية بأنها مدينة كبيرة، وهو ما تؤكده بعض المؤشرات الديمغرافية التي تضمنها الجدول السابق، مثل "**متبحرة في العمران**"، و"**الدور المعتبرة**"...

ويبقى هذا التقدير نسبيا في نتيجته رغم أنه صادر عن مصدر قريب جدا من فترة الدراسة، وحتى ولو سلمنا بدقة ما أمدنا به الوزان من إحصائيات، فإننا سنصطدم بظنية مؤشر معياري آخر هو متوسط عدد أفراد الأسرة، (بعيزيق، 1995، صفحة 113) ولعل ذلك ما يبرر اختلاف النتائج المتوصل إليها من قبل الباحثين الذين سبقونا إلى هذه المسألة، مثلما يبينه الجدول التالي:

جدول2: نماذج عن تقديرات عدد سكان مدينة وهران عند الباحثين المعاصرين

الرقم	تقديره لسكان وهران	متوسط عدد أفراد الأسرة عنده	المرجع
01	24000 نسمة	4 أفراد	(قارة مبروك، 2017، صفحة 74)
02	30000 نسمة	05 أفراد	(المدني، 1968، صفحة 114)
03	36000 نسمة	6 أفراد	(شرقي، 2013، صفحة 110)
04	60000 نسمة	10 أفراد	(لحسن، 2021، صفحة 1376)

وعلى أهمية هذه الأرقام إلا أن تباينها في تقديراتها يجعلها أقرب إلى التخمين، لاسيما في ظل الفارق الشاسع بين حديها الأقصى (60000 نسمة) والأدنى (24000 نسمة)، وهو ما يستدعي من الباحثين عمل إضافي يتركز فيه الجهد هذه المرة حول البحث عن آليات أكثر دقة من أجل ضبط متوسط أقرب ما يكون للواقع لعدد أفراد الأسرة في وهران، وذلك من خلال التنقيب عن أكبر قدر من الإشارات المصدرية التاريخية، والمناقبية،

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

والجغرافية، والفقهية...، بهدف الوقوف على أكبر كم من المؤشرات الديمغرافية التي تساعد في وضع متوسط دقيق لعدد أفراد الأسرة الوهرانية انطلاقا من المعطيات المصدرية المتوفرة، وهو ما من شأنه أن يعطي بعضا من المصداقية المشفوعة بالشواهد لمسحنا الإحصائي بعيدا عن اقتراح متوسطات تخمينية تفتقد إلى ما يدعمها.

كما يجب ألا نغفل عما تمدنا به المعطيات الأثرية في هذا الشأن، سواء أتعلق الأمر بأسوار المدينة التي تساعد على حصر المساحة التي كانت تشملها، أو من خلال المؤشرات الديمغرافية التي قد نستلهما من بعض مرافقها الحيوية على غرار المساجد والحمامات...، وهو في الواقع عمل ضخم يحتاج إلى فرق بحثية، لكنه يشكّل ضرورة ملحة في ظل هذا التخبط الذي وقع فيه الباحثون من أجل وضع تقدير موضوعي لعدد سكان مدينة وهران.

وتنسحب هذه الملاحظات على كامل الأرياض والأحواز والضواحي التي يشملها الفضاء الوهراني، وإذا ما سلطنا الضوء على أقربها إليها نجد أن الوزان يصف المرسى الكبير بالمدينة الصغيرة دون يزودنا بعدد كوانينها، ربما لأنه ركز تقديراته على المراكز الكبرى، غير أنه باعتماد متوسط عدد كوانين المدن الصغرى بمعايير فترة الدراسة الذي حدده الباحثون بمائتي (200) كانون، (حجاج طويل، 1999، صفحة 26) فإن تقدير عدد سكان المرسى الكبير هو:

عدد سكان المرسى الكبير = العدد الإجمالي لكوانين المدينة ×متوسط عدد أفراد الأسرة

= 200 كانون x 7.5 فرد

= 1500 نسمة.

وهو رقم ضئيل جدا رغم الأهمية التجارية للمدينة، ولعل لذلك صلة بسياسة الدولة التي جعلته مركزا للنشاط التجاري ولم تسمح للعامة بالإقامة فيه حتى يسهل عليها مراقبته وتوجيه حركته، لاسيما أن قربه من مدينة وهران يسهل الانتقال إليه دون عناء.

وبالنسبة لمدينة قسطيلية فإننا لا نملك نصا صريحا يوضح حجم المدينة، غير أننا نعتقد أنها كانت مدينة صغيرة، وبالتالي فان تقدير عدد سكانها هو:

عدد سكان قسطيلية = العدد الإجمالي لكوانين المدينة ×متوسط عدد أفراد الأسرة

= 200 كانون (أنظر التعليق رقم 04) **x 7.5 فرد**

= 1500 نسمة.

غير أننا إذا خرجنا من مدينة وهران وحوزها إلى ما يضمّه فضاؤها من قرى جبلية وبوادٍ فإن المسح التقديري لساكنتها يأخذ صبغة الجزئية، بحكم طبيعة المادة التي توفرها المصادر بشأنها التي تتسم بالاقتضاب والانتقائية، زيادة على أن اعتماد بعضها (الساكنة)على حياة الترحال يعقد من مهمة الاستثمار في معطيات محيطها من أجل التدقيق في التقديرات الإحصائية لأهليها، لذلك سنكتفي في هذا المقام بإعطاء نماذج عنها.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

فمن خلال معطيات الجدول نلاحظ أن جبال وهران كانت أيضا عامرة آهلة، حيث شكلت على غرار جبال المناطق الأخرى خزانا للطاقة البشرية التي تستند إليه الدولة في مختلف مشاريعها، ولاسيما في حروبها، (عشي، 2021، الصفحات 152-153) ومن جبال وهران التي حملت هذه الصفة جبل أغبال، الذي اكتفى الوزان (1984) بوصف سكانه بأنهم فلاحون وحطابون، (صفحة 44) أما كربخال (1984) فكان أكثر دقة عندما أمدنا بعدد كوانين أحد محلات أغبال المقدرة ب 1200 كانون، (صفحة 352) وبعملية حسابية: 1200كانون×7.5 فرد، فنحصل على 9000 نسمة، ورغم ضخامة هذا العدد إلا أنه تلاشى تدريجيا حتى أصبح هذا الجبل خاليا بسبب كثرة انخراط أهله في الفتن.

أما الأرياف والبوادي المحيطة بوهران فقد كانت تقطنها جماعات متنوعة من القبائل البربرية (ابن خلدون، 2001، صفحة 191) والعربية، وبسبب غلبة التقديرات الانطباعية على أعداد قبائل العنصر الأول، فسنكتفي في هذا المقام بأخذ نماذج عن التقديرات المتعلقة بقبائل العنصر العربي، ومنهم بنو عامر الضاربون بتخوم تلمسان ووهران الذين قدرت أعدادهم عند الوزان بنحو 6000 فارس (الوزان، 1984، صفحة 51) يضاف إليهم عدد الراجلين الذين قدرهم كربخال (1984) بنحو 50000 راجل (صفحة 103) فيكون العدد الاجمالي لمقاتليهم هو 56000 مقاتل، صحيح أن المجال الذي كانت تشغله واسع جدا ويمتد بين "**تلمسان ووهران ويعمرون سهل كرط كلها إلى بلاد بني راشد، وينتشرون نحو ليبيا**" إلا أنّ هذه التقديرات تنمّ عن القوة الديمغرافية الكبيرة التي كان يشكلها هذا القبيل، وهو ما يعبر عنه عدد ساكنتهم المرتفع المرتبطين بالجيش فقط، كما تبرزه العمليات الحسابية التالية:

- **الطريقة الأولى:** باعتماد متوسط عدد أفراد الأسرة، الذي يحمل في هذه الحالة نوعا من الخصوصية، لأن معظم جند الجيش عادة ما يتألف من الشباب (وبعضهم غير متزوج أصلا) والكهول ممن مازالت لهم القوة والقدرة على الانجاب، ومن ثم فأُسر هؤلاء على الأرجح تُشكِّل في متوسطها نصف كانون في الغالب، أي ما يعادل أربعة أفراد على ضوء المتوسط الذي اعتمدناه من قبل، فيكون حاصل عدد سكان بني عامر بحسب تقدير الوزان مدعوما بما أضافه مارمول كاربخال هو:

عدد سكان بني عامر = العدد الإجمالي للجند ×متوسط عدد أفراد أسرهم

= 56.000 مقاتل× 4 أفراد

= 224.000 نسمة.

- **الطريقة الثانية:** وضع أسسها الباحث كاريت carette (1853)، أثناء محاولته تقدير عدد أفراد القبائل العربية بالمغرب الإسلامي معتمدا على ما ورد في كتاب افريقيا لكربخال حول عدد مقاتلي القبائل العربية، وتعتمد طريقته على إضافة عدد المسلحين إلى عدد الرجال العزل أي كبار السن، والمرابطين والعجزة والفقراء، الذين يمثلون حسبه ربع عدد المسلحين، ثمّ مضاعفة هذا العدد ثلاث مرات، (p. 439) فنخلص إلى الأرقام التالية (استنادا إلى التقديرات التي أوردها الوزان وكاربخال):

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

عدد كبار السن والعزل والعجزة = العدد الإجمالي للمسلحين / 4

4/56.000 =

14.000 = نسمة.

العدد المرجعي للساكنة = عدد المسلحين + عدد كبار السن والعزل والعجزة والفقراء

14.000 + 56.000 =

70.000 = نسمة.

ومنه فإن: عدد سكان بني عامر هو = 70.000 نسمة ×3 أضعاف

210.000 = نسمة

أما بالنسبة لديار هبرة التي تشغل طول السهل الممتد ما بين وهران ومستغانم فإن عددهم تراوح بضم عدد الراجلين إلى الفرسان ما بين (2100– 2150) مقاتل (الوزان، 1984، صفحة 51)' (كربخال، 1984، صفحة 103) فيكون عددهم الإجمالي بحسب الطريقة الأولى ما بين (8400 ــ 8600) نسمة، أما بطريقة كاريت فإنه يتأرجح بين (7875 ـ 8061).

ومن خلال المقارنة بين نتائج التقديرين المتوصل إليهما في الطريقتين المتبعتين نلاحظ أن هناك تقاربا كبيرا في بياناتهما، مع التأكيد على أنها تبقى تقريبية ـ نسبية في ظل غياب أرقام حقيقية ذات صبغة رسمية تمتد إلى زمن الدراسة.

وعلى ضوء ما سبق وفي ظل ما توافر لدينا من معطيات رقمية على قلتها وعدم دقتها، يمكن أن نقف على تقدير أولي لسكان الفضاء الوهراني من مجموع المسوح الإحصائية التي عرجنا عليها من قبل على النحو التالي:

عدد سكان الفضاء الوهراني = عدد سكان المدينة + مجموع عدد سكان الأحواز + والضواحي التي تتبعها وتُنسب إليها

= 45.000 + 1500+1500 + 9.000 + فضاءات مشتركة مع عمالات أخرى

= 57.000 نسمة + فضاءات مشتركة مع عمالات أخرى

ملاحظة

– تقدير تعداد سكان المجالات المشتركة مع العمالات الأخرى يتأرجح ما بين (218.061 –232.600) النصيب الأكبر منها لقبائل بني عامر وأولاد هبرة، وهو ما يجعل عدد ساكنة الفضاء الوهراني مرشحا للارتفاع إلى ما يزيد عن الضعف تقريبا متجاوزا 100.000 نسمة.

– ويبقى هذا المسح أوليا وأرقامه قابلة للزيادة لاسيما إذا دققنا المسح ليشمل جميع المجموعات البشرية التي سكنت الفضاء الوهراني، وبالأخص ما وقع منه خارج المجالات الحضرية، وهو ما يجعل التقديرات التي أوردناها مبدئية وبحاجة إلى مزيد من الجهود لتدقيق أرقامها وجعلها أقرب إلى الواقع.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

التعليقات

التعليق رقم 01: الكانون: هو عدد الأشخاص الذين الساكنين في بيت واحد، ينتسبون لأسرة واحدة، ولم تتفق الدراسات على تحديد معدل أفراد الأسرة الواحدة، أنظر: أحمد التوفيق. (التوفيق، 2011، صفحة 183)

التعليق رقم 02: تقع بالمغرب الأوسط وتدعى أيضا بكريشتل، كانت تضم في عهد الاحتلال الاسباني 300 مسكن، (بوتشيشة، 2018، صفحة 215) وورد ذكرها في كتاب المزاري، (1990) بأنها عبارة عن قرية تبعد بحوالي 20 كلم عن شرق وهران على ساحل بحري صخري في سفح جبل كسيكسو، (صفحة 75 الهامش).

التعليق رقم 03: هي احدى المقاييس المعتمدة في حساب كثافة قطاع معين من العاملين في مهنة ما إلى اجمالي المساحة مثل كثافة العمال المزارعين في الدولة أو العاملين في الخدمات أو الصناعة وغيرها، ولكن غياب حجم المساحة الحقيقي وعدد العاملين في قطاع معين يجعل تطبيق هذا المقياس مستحيلا. (أبو عيانة، 1989، صفحة 121)

التعليق رقم 04: قدمنا عدد كوانين قسطيلية بـ 200 كانون استنادا إلى ما ورد في احدى الدراسات الحديثة (حجاج طويل، 1999، صفحة 26)، التي أشارت إلى امكانية اعتبار عدد كوانين المدن الصغيرة لا يتعدى 200 كانون.

خاتمة

توصلنا في هذه الورقة البحثية إلى النتائج التالية:

الأرقام الإحصائية المتحصل عليها حول عدد سكان مدينة وهران وفضائها خلال الفترة الزيانية، تبقى مجرد أرقام تقريبية، نظرا لغياب الإحصاء الذي يعد ركيزة أساسية في دراسة الديمغرافيا التاريخية، ومع ذلك فان التقديرات المتوصل اليها أبانت عن الأهمية الديمغرافية التي تبوأتها المنطقة، والوزن الديمغرافي التي تمتعت به، رغم الظروف التي مرت بها المنطقة.

يحتل معرفة عدد سكان مدينة وهران وفضائها عنصرا أساسيا في تفسير الازدهار التجاري الذي عرفته المنطقة خلال الفترة قيد الدراسة، فلا شك أن النمو السكاني عزّز بدرجة كبيرة من النشاط التجاري للمنطقة، كما ساهم الازدهار الاقتصادي في استقطاب السكان والقبائل إلى المنطقة الوهرانية.

إن الاعتماد على التقديرات التي قدمتها النصوص المصدرية الانطباعية أو الرقمية ترك المجال مفتوحًا للجدل والنقاش حول الأعداد الحقيقية لعدد سكان وهران وفضائها، مما أدى إلى تقديم أرقام متفاوتة، لذا يجب السعي مستقبلا إلى تبني طرق ووسائل أخرى لتقدير عدد السكان بدقة أكبر.

وصفوة القول: إن هذه الدراسة المتواضعة لا تزال بحاجة إلى دراسة عميقة، وإلى دراسة جوانب أخرى لم نتعرض للحديث عنها في هذه الورقة البحثية، كتقدير السكان من خلال المعطيات العمرانية كالمساجد والسور والحمامات...، لهذا أدعو الباحثين في التاريخ الوسيط إلى الاهتمام بهذا المجال الخصب مستقبلا، وذلك بتشكيل فرق بحثية.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

قائمة المصادر والمراجع:

1. أجميلي حميد، (2018)، **المسألة الديمغرافية بالمغرب الأقصى "مؤشرات إحصائية حول الاقتصاد والتمدين"**، المغرب، مطبعة النجاح الجديدة.
2. بعيزيق صالح، (1995)، **بجاية في العهد الحفصي دراسة اقتصادية واجتماعية**، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، تونس.
3. بوتشيشة علي، (31 جانفي 2018) ، **مدينة وهران من خلال كتابات الجغرافيين والرحالة والمؤرخين**، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، عدد 19، الصفحات 208-215.
4. التوفيق أحمد، (2011)، **المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (اينولتان 1815-1912)**، المجلد 3، الرباط، كلية الآداب والعلوم الانسانية.
5. جدلة ابراهيم، (1993)، **السكان الحضر بإفريقية من القرن الثالث عشر الميلادي إلى القرن السادس عشر**، تأليف الديمغرافيا التاريخية في تونس والعالم العربي، تونس، دار سراس.
6. حبيدة محمد، (2002)، **الديمغرافيا التاريخية ملاحظات على ضوء كتب الأنساب**، مجلة كنانيش، عدد 04، الصفحات 79-86.
7. حجاج طويل محمد، (سبتمبر، 1999)، **المسألة الديمغرافية، نحو منهجية ديمغرافية محاولات إحصائية (العصر الوسيط نموذجا)**، كنانيش(1)، الصفحات 18-28.
8. حدوش عبد الحميد، (أكتوبر 2002)، **أسباب الهدر الديمغرافي بالمغرب من خلال مخطوط: "أقوال المطاعين في الطعن والطواعين"، الأيام الوطنية العاشرة حول المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب (الصفحات 328-319)**، الجديدة، الجمعية المغربية للبحث التاريخي.
9. حساني مختار، (2009)، **تاريخ الدولة الزيانية**، الجزائر، منشورات الحضارة.
10. الحميري محمد بن عبد المنعم، (1975، 1984)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، (تحقيق احسان عباس)، ج 1، لبنان، مكتبة لبنان.
11. ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الخضرمي الاشبيلي، (2001)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، (تحقيق زكار سهيل)، ج 6، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
12. أبي راس الناصر محمد بن أحمد، (2015)، **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، (تحقيق محمد غالم)، الجزائر، المركز الوطني للبحث في الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية.
13. راشدي خضرة، (جوان 2018)، **الديمغرافيا التاريخية، ماهيتها وأهميتها**، مجلة مقدمات، عدد7، الصفحات 19-28.
14. الزياني محمد بن يوسف، (2013)، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، (تحقيق بوعبدلي المهدي)، ج01، الجزائر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع.
15. شاكر مصطفى، (1988)، **المدن في الإسلام حتى العصر العثماني**، ج01، الكويت، مكتبة لسان العرب.
16. شرقي وردة، (2012-2013)، **مدينة وهران خلال العصر الوسيط (915-290هـ/902-1509م) _دراسة مونوغرافية_**، رسالة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الاسلامية، قسنطينة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية.
17. بن صالح قارة مبروك، (2017)، **مسار المدن والعمران بالجزائر (دراسات في تاريخ المدن والتركيبة السكانية)**، ج1، الجزائر، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والإعلامية.
18. ابن الصباح عبد الله، (2008)، **أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار**، (تحقيق بن شريفية محمد)، ج1، المغرب، دار أبي رقراق للطباعة والنشر.
19. العبدري أبي عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود، (2005)، **رحلة العبدري**، (تحقيق كوري علي ابراهيم)، دمشق، دار سعد الدين للطباعة والنشر.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

20. عشي علي، (30 يونيو/حزيران 2021)، **البعد الجبلي للمغرب الأوسط، بين الحصانة والعزلة والأدوار التاريخية**، مجلة الدراسات التاريخية، عدد 11، الصفحات 124-158.

21. أبو عيانة محمد فتحي، (1989)، **دراسات في الجغرافيا البشرية**، مصر، دار المعرفة الجامعية.

22. كربخال مارمول، (1984)، **إفريقيا**، (ترجمة حجي محمد وآخرون)، ج 01 و02، المغرب، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

23. لحسن ابراهيم، (27 جوان 2021)، **جوانب من ديمغرافية المغرب الأوسط** (الجزائر حاليا) خلال فترة نهاية العصور الوسطى وبداية الفترة الحديثة من خلال كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان الفاسي، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، مجلد 35، عدد 01، الصفحات 1338-1405.

24. المدني أحمد توفيق، (1968)، **حرب الثلاثمائة سنة**، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

25. مدني طارق، (31 تموز/يوليو 2019)، **المؤرخ والمقاربات الكمية، حول الدراسات الديمغرافية لبعض الحواضر الإسلامية**، مجلة أسطور، عدد 10، الصفحات 26-32.

26. المزاري الآغا بن عودة، (1990)، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، (تحقيق بوعزيز يحيى)، ج1، لبنان، دار الغرب الاسلامي.

27. المغراوي محمد، (2006)، **الموحدون وأزمات المجتمع**، المغرب، جذور للنشر.

28. منصوري عثمان، (أيلول 1999)، **بعض قضايا البحث الديمغرافي في الفترة الحديثة (القرن 16م نموذجا)**، مجلة كنانيش، عدد 01، الصفحات 82-90.

29. موساوي القشاعي فلة، (2004)، **الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر، الجزائر.

30. الوزان الحسن بن محمد، (1984)، **وصف إفريقيا**، (ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر)، ج01 و02، لبنان، دار الغرب الإسلامي.

31. يشوتي رشيد، (أيلول 2001)، **الديمغرافيا التاريخية من خلال موسوعة الأنسكلوبيديا**، كنانيش، عدد03، الصفحات 131-139.

32. Carette Ernet, (1853**), recherches sur l'origine et les migrations des principales tribus**, paris, imprimerie impériale**.**

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)